القضايا النحوية في شرح التونية، لعبد العزيز الثميني(1223هـ)

"قراءة في المنهج"

د. بعداني عبد القادر

جامعة الشلف

1- عبد العزيز الثّميني: مولده ونشأته.

2- شيوخه.

3- تلامذته.

4- آثاره العلمية.

5- جهوده العلمية.

6- منهجه في شرح التّونية.

أ- الضبط.

ب- التعريفات.

ج- عزو الأقوال.

د- مصادر الشرح.

1- الإمام عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد العزيز الثّميني، الملقب بضياء الدين[1].ولد في بني يزقن بميزاب بالجنوب الجزائري(1130هـ - 1717م)، في أسرة معروفة بحبها العلم، انتقل والده إلى ورقلة فقضى فيها معظم شبابه، وتعلم مبادئ العلوم ومبادئ التوحيد والفقه، . وحفظ القرآن الكريم، وحين بلغ سن النضج عمل في التجارة كعادة شباب أبناء منطقته، وعندما علم برجوع أبي زكريا يحي بن صالح من جربة إلى بني يزقن واستقراره فيها، رجع إلى مسقط رأسه[2]، في سبيل العلم والتعلم، وذلك في عام(1160هـ)، وهو في سن الثلاثين، وقد لازم أبا زكريا يحي بن صالح في حلقاته إلى أن نبغ في علوم اللغة العربية والشريعة والمنطق، ومختلف العلوم، مثل التوحيد والفقه وأصول الفقه، والنحو والصرف، والبلاغة والعروض[3]. ثم اعتمد على نفسه في تحصيل العلوم منقولها ومعقولها، وكون مكتبة ضخمة، أصبحت فيما بعدمن أكبر المراجع في ميزاب ، وأسند إليه شيخه أبو زكريا مشيخة المسجد، ورئاسة مجلس عمي سعيد[4]؛ وهو أعلى مجلس عند الإباضية تنتهي إليه جميع القضايا والمشاكل للنظر فيها وحلها[5]. وعمل مع أبي زكريا في العمل الاجتماعي والاصلاحي فترة من الزمن ثم لزم بيته ثمانية عشر عاما واعتزل الناس، وتفرغ للتأليف والفتوى والتدريس[6] إلى أن توفي (1808م).

2- شيوخه:

لعبد العزيز الثّميني شيخ واحد، تأثر به كثيرا وتعلّم على يديه، بطريقة مباشرة هو أبو زكريا يحي بن صالح الذي تتلمذ عليه بعد أن رجع من جربة إلى بني يزقن (1157).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلامذته:

قام عبد العزيز الثّميني بنشر العلم بين تلامذته وأصدقائه ومعاصريهمن المثقفين، وكان له تلاميذ في بني يزقن وغرداية، وبنورة والغرارة، ومن العلماء النابغين الذين شاركوا في النهضة الحديثة وأسهموا في الاصلاح مع الشيخ وبعده هم[7]:

أ- الحاج يوسف بن حمو بن عدون:

ولد الحاج يوسف بن حمو بن عدون (1158هـ) ببني يزقن وتتلمذ على يد الثميني وعلى أبي زكريا يحي الأفضلي وتولى مشيخة بني يزقن بعد وفاة شيخه عبد العزيز الثميني، وسافر إلى مصر (1205هـ) طلبا للعلم، وعاد إلى مسقط رأسه بعد (1209هت)وله قصيدة مطولة نظمها بعد سفره إلى المشرق، ذكر فيها رحلته إلى المشرق تسمى الحجازية، وله كتاب لقط أبي عزيز في الفقه، وكتاب معجزات الرسول عليه السلام، وأرجوزة في الفقه[8]

ب- الحاج إبراهيم بن بحمان:

هو ابن أخت الثميني، وكان كاتبا وأديبا، له مراسلات إلى المشرق وإلى بايات الترك بالجزائر، له ديوان شعري يضم مختلف الأغراض الشعرية من مدح وهجاء ورثاء وشكوى، وله كتاب الجواهر الثمينة، وتفسير على سورة العصر، وشرح على موازين القسط، وتولى الرئاسة الدينية بعد يوسف بن حمو بن عدون، توفي (1232هـ) ببني يزقن ودفن بها[9].

آثاره العلمية:

ألف ضياء الدين عبد العزيز الثميني في جميع العلوم المهمة، ولا زالت مؤلفاته من المراجع النادرة في تخصّصاتها، تتسم بالعمق وغزارة المادة ويبلغ عددها اثنى عشر مؤلفاهي:

1- النيل: وهو كتاب جامع في الفقه، ويعتبر مرجعا للإباضية في المشرق والمغرب، ويعرف هذا الكتاب بالنيل وشفاء العليل، وهو مرجع نفيس في الفتوى والقضاء. طبع في مصر في جزأين (1305هت) وأعيد طبعه بالجزائر في ثلاثة أجزاء[10].

2- التكميل: وقام بتحقيقه وطبعه حفيده الشيخ محمد الثميني (1925م)[11]

3- تعاظم الموجين في شرح مرج البحرين: وهوشرح لكتاب (مرج البحرين) لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورقلاني وهو في ثلاثة علوم: المنطق، والعدد، والهندسة، إلا أن الثمينيلم يكمله واكتفى في شرحه بقسم المنطق[12].

4- معالم الدين: هو كتاب ضخم في علم الكلام، تعرض فيه لأقوال المذاهب الإسلامية، وناقشها ووازن بينها.طبع بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.(1986م) بدون تحقيق[13].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- الورد البسّام في رياض الأحكام: وهوكتاب للقضاة في أحكام الشريعة طبع(1345هـ) بالمطبعة التونسية بتحقيق حفيده محمد بن صالح الثميني[14]

6- التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم: وهو ملخص كتاب منهاج الطالبين خميس بن سعيدالشقصي العماني، وهوكتاب في التوحيد والفقه، يقع في ست وعشرين جزءا ولا يزال مخطوطا، انتهى منه(1192هـ)[15].

7- مختصر حواشي الترتيب: وهو كتاب علم الحديث، اختصر فيه الثميني حواشي أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستة القصبي الجربي الملقب بالمحشي على كتاب ترتيب مسند الربيع بن حبيب لأبي يعقوب بن إبراهيم الورقلاني، وهو كتاب في مجلد واحد ولا يزال مخطوطا[16].

8- مختصر في أمور الأزواج: وهو في نظام الأسرة والنّظام العالمي، مقتبس من كتاب المنهاج لخميس بن سعيد القشي العماني ، ولا يزال مخطوطا، انتهى منه (1209هـ).

9- النّور في شرح النّونية: وهو كتاب في التوحيد، اختصر فيه التلاتي للقصيدة المشهورة بالنونية لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي[17]. وفي ذلك يقول الثميني:لما جلت بصري وأمعنت نظري في شرح العلامة البدر التلاتي منح لي أن أتطفل على وليمته وأجمع من فوائده، ما مست الحاجة إليه، وأقبلت النفس عليه تاركالبعض تكراره، ومقتصرا على المهم منه دون إكثاره، ومضيفا إليه زوائد مناسبة لمحلها مما هو ممحتاج إليه مسميا له بالنور[18].ويذكر سبب تسمية هذا الكتاب بالنور لأنه يريد من الله تعالى أن يدخله الجنة مكافأة له لتأليف هذا الكتاب فيقول: له الحمد والشكر مسميا له بالنور رجاء من الله سبحانه وتعالى أن يجعله لنا نورا منيرا في قبرنا.

10- الأسرار النورانية على المنظومة الرائية: وهو كتاب يتحدث عن أهمية الصلاة وأحكامها، وهوشرح للقصيدة الرائية لأبي نصر فتح بن نوح الملوشائي، انتهى منه (1212هـ)، طبع بمصر طباعة حجرية (1306هـ)[19]

11- عقد الجواهر المأخوذ من بحر القناطر: وهو كتاب في الفلسفة الشعرية والأخلاق والآداب الإسلامية، اختصر فيه قناطر الخيرات لإسماعيل الجيطالي، وهو كتاب في مجالد واحد، ولا يزال مخطوط[20]ا.

12- المصباح المقتبس من أبي مسألة وكتاب الألواح: وهو كتاب في الفقه اختصر في كتابين مشهورين لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر وهما كتاب أبي مسألة وكتاب الألواح وهو كتاب ما زال مخطوطا[21].

هذه أهم آثار العالم الفاضل عبد العزيز الثميني وهي موجودة في مكتبة الاستقامة في بني يزقن.

وفاة الثميني:

توفى عبد العزيز الثميني يوم السبت الحادي عشر من رجب (1223هـ-1808م)،في مسقط رأسه في بني يزقن وعمره ثلاث وتسعون سنة[22].

ثانيا: التعريف بكتاب النور:

1- وصف الكتاب: كتاب النور لعبد العزيز الثميني من الحجم الكبير إذ احتوى على خمسمائة وخمس وثلاثين صفحة بمقياس 21سم على 15سم، وكل صفحة احتوت على أربعة وعشرين سطرا، ويضم كل سطر إحدى عشرة كلمة.

2- الغرض من التأليف:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان الهدف الأول من تأليف هذا الكتاب إحياء علوم الدين، بتبسيط المتون واختصارها، ويذكر عبد العزيز الثميني أن كتابه هو اختصار لكتاب اللآلئ الميمونة على المنظومة النونية للبدر التلاتي، ويذكر أن هذا الكتاب هو شرح جامع للمقصود بالذات وبالقصد الأول من فرائد العقائد الدينية وحاو للمقصود بالغرض وبالقصد الثاني من موائد القواعد النحوية ولطائف الأسرار المعانية[23]

فهو كتاب جامع شامل، اختصره تاركا لبعض تكراره، مقتصرا على المهم منه دون إكثاره ومضيفا إليه زوائد مناسبة لمحلها[24]. قصد التعليم موظفا النحو لتقريب المعنى للدارسين.

3- أسلوب عبد العزيز الثميني:

انتهج الثميني في كتابه النور أسلوبا بسيطا سهل الألفاظ والعبارات واضح التراكيب، ولذلك جاء الكتاب سهلا لا يجد فيه القارئ أي صعوبة في غرابة اللفظ، أو تعقيد المعنى.

4- تقديم الشرح:

اتبع عبد العزيز الثميني طريقة واحدة في شرحه النونية من بداية الكتاب إلى نهايته، ويتضح طريقة الشرح من خلال العناصر التالية:

أ- كتابة البيت الشعري(المتن) في سطر،ثم يتبعه بشرح البيت شرحا لغويا، ولا يترك كلمة صعبة إلا شرحها، ووضّح معناها، ويعربها إعرابا تفصيليا مبيّنا وظيفتها في الجملة، ثم يذكر محّلها من الإعراب[25]

ب- عرض الشواهد: في كل باب نجد عبد العزيز الثميني يعرض بعض الشواهد التي تساعد على الشرح والتوضيح والتحليل، وهي ثلاثة أنواع من الشواهد نعرضها فيما يلي:

1- الشاهد من الشعر: نجده يذكر الشاهد الشعري سواء كان بيتا أو جزء من البيت قائلا:كما يقول الشاعر، أو قال الشاعر[26].

2- الشاهد من القرآن الكريم: إذا كان الشاهد آية قرآنية فإنه يذكرها قائلا: قال الله تعالى[27].

3- الشاهد من الحديث النبوي الشريف: إذا كان الشاهد حديثا نبويا فإنه يذكره قائلا: قال الرسول صلى الله عليه وسلم دون ذكر السّند أو الرّواة[28]. مع ملاحظة أنه لا يعرب الشواهد، سواء كانت آيات قرآنية، أو آحاديث نبوية، أو أبيات شعرية.

ج الإعراب: يتعرض عبد العزيز الثميني إلى إعراب المتن ضمن الشرح دون أن يضع عنوانا يدلنا من خلاله أنه بدأ الإعراب، وما يمكن ملاحظته هو أنه كان يعرب إعراب مفردات وإعراب جمل، ويشير في الإعراب في بعض الأحيان إلى الاختلاف بين المدارس النحوية وبين الوجوه المتعددة للإعراب.[29]

5- منهج عبد العزيز الثميني في النونية:

اتبع عبد العزيز الثميني عدة طرق لشرح النونية نذكرها فيما يلي:

أ- التكرار: تجنب المؤلف في شرح النونية التكرار حتى لا يعيد ما سبق تناول، واستعمل في ذلك عبارة" كما مر" أو " وقد مر شرحه" للإشارة ٰلى تكرار الكلمة التي بصدد شرح معناها[30].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- الاستطراد: لجأ المؤلف إلى الاستطراد في بعض المسائل توضيحا لأعراب الكلمة التي بصددها، مثل: فعل التعجب فإنه ذكر كل أحواله واستعرض أقوال البصريين والكوفيين في ذلك.[31]

ج- الاختصار: أما الاختصار فهي سمة المؤلف العامة إذ كثيرا ما يلجأ إلى الإعراب باختصار مثل قوله: وأمها أي الثلاثة جملة موصوفة بها.وقوله كذلك، واعتنى بها ، أي اهتم بها جملة معطوفة على التي قبلها دون ذكر محلها من الإعراب بالتفصيل[32].

د- الضبط: استخدم عبد العزيز الثميني نمطين للضبط

1- الضبط بالعبارة: من أمثلة ذلك قوله: وفي كل العالم بالفتح والمثل بالفتح والمثلثة، والرزق بفتح الراء، ولا يقال: الله علم بكسر فسكون، والمسبح بالفتح هو الذات العلية لا اللفظ الناطق به المسبح بالكسر.[33]وفي هذا للمؤلف مناذج كثيرة من هذا النوع من الضبط.

2- الضبط بالوزن الصرفي: استعمل عبد العزيز الثميني الضبط بالوزن الصرفي في عدة مواضع من شرحه، ومن ذلك قوله: أول ،اصله أوأل علو وزن أفعل، وقوله أخصر على وزن أفعل بالكسر.[34] وما يمكن قولهبالنسبة للشرح هو عدم وجود الضبط بالشكل سواء بالنسبة للمتن أو الشرح.

6- التعريفات:

أ الناظم: ويقصد به أبا نصر فتح بن نوح الملوشائي صاحب النونية وفي ذلك يقول: " وسيأتي له بعد عند قول الناظم بكل مكان " وقوله "وانبئ بمعنى أخبر مرادا منه أبين مضارع وفاعله ضمير الناظم."[35]

ب- الشارح: ويقصد به عمر التلاتي الذي شرح النونية واختصر عبد العزيز الثميني شرحه، وفي ذلك يقول: " قال الشارح: ولو قال فأول فرض يلزم علمه لسلم من ذلك التكليف"، وكذا كلام الشارح، مع ملاحظة أنه في بعض الحالات يذكر اسمه، فقول: قال التلاتي، وقال كذلك، وقال التلاتي: وسمعت قديما من أستاذي العلامة الجادوي.[36]

7- عزو الأقوال: استشهد المؤلف في شرحه بعدة أقوال لعلماء ونحاة، ونجده ينسب هذه الأراء والأقوال إلى أصحابها، ويرجعها إلى مصادرها، من ذلك قال التلاتي:" وقد تكلمت على الروح في أماكن من كتابي نزهة الأديب.[37] وكذلك في قوله : " وفعل الشرط وجوابه محذوفان، قال ابن مالك في تسهيله:" ويحذفان بعد أن في الضرورة ، كقوله:" قالت بنات العم يا سلمى وإن كان فقيرا معدما قالت وإن.[38]

كما نجده يذكر في مواضع أخرى المصدر دون الإشارة إلى صاحب القول، ولعل ذلك يرجع إلى شهرة صاحب الكتاب من ذلك قوله: " وإن أول واجب عندنا وعند جمهور الشاعرة معرفة الله تعالى، قال صاحب الجوهرة:

واجزم بأن أولا مما يجب *** معرفة وفيه خلف منتصب [39]

وقوله كذلك:" وقيل السماء والأرض وما فيهما وما بينهما وفي حقيقتهما كلام واسع في القناطر"

ونجده أحيانا يذكر صاحب القول دون الإشارة إلى المصدر كما في: " وقوله لا تراني لأن لن تفيد تأبيد النفي وتأكيده، وهي من الحروف الدالة على ألا يأس مما بعده، كما قال الربيع بن حبيب رحمه الله تعالى.[40]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك قال: وغيره مفعول على حذف إلى أي تدرج إلى غيره ولا بعد تضمينه، درج معنى أدرك ونصبه غيره بنفسه، ولو أتى به بدله لكان أولى وأحلى كذا قال التلاني.[41]

فربط أقوال العلماء بمصادرها دليل على سعة اطلاع عبد العزيز الثميني وثقافته الواسعة.

الهامش:

---

[1]– تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ج3، 1983، ص: 581.

[2]– تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ط1، 1998، ج2، ص: 79.

[3]– المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[4]– نسبة إلى عمي سعيد بن علي، وهو عالم نشر العلم في وادي ميزاب.

[5]– تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،باباعمي، محمد بن موسى ج3، 1983، ص: 581

[6]– – تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ط1، 1998، ج2، ص: 80.

[7]– معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر: قسم المغرب الإسلاميبا باعمي، محمد بن موسى, ج3، ص: 532.

[8]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، رسالة ماجستير، جا الجزائر، 1996، مخطوط ص: 37.

[9]– – المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[10]– – المصدر نفسه، ص: 50.

[11]–– المصدر نفسه، ص: 36.

[12]– – تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ج3، 1983، ص: 582

[13]– – الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 54.

[14]– تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ص: 582.

[15]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 56.

[16]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 57.

[17]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 58.

[18]– النور في شرح النونية، عبد العزيز الثميني، طباعة حجرية مصر، 1306، ص 3.

[19]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 62.

[20]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 62.

[21]– الإمام عبد العزيز الثميني وكتابه المعالم في الفلسفة وأصول الدين،عمر بن اسماعيل آل حكيم، ص: 63.

[22]– تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ص: 582.

[23]– النور في شرح النونية، عبد العزيز الثميني، ص: 3

[24]– – النور في شرح النونية، عبد العزيز الثميني، ص: 3

[25]– – النور في شرح النونية، عبد العزيز الثميني، ص: 12،11،10.

[26]–المصدر نفسه ص : 14-82.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[27]– المصدر نفسه ص : 122.

[28]– المصدر نفسه ص : 97-122.

[29]– المصدر نفسه ص: 128-293-338.

[30]– المصدر نفسه ص : 58-90-343-294.

[31]– المصدر نفسه ص: 294.

[32]– – المصدر نفسه ص: 409.

[33] – – المصدر نفسه ص: 92-108-121.

[34]– – المصدر نفسه ص: 36-298.

[35]– – المصدر نفسه ص: 64-190.

[36] – – المصدر نفسه ص: 37-18-58-17.

[37]– – المصدر نفسه ص: 18.

[38]– – المصدر نفسه ص: 18-58.

[39]– المصدر نفسه ص: 51.

[40]–– المصدر نفسه ص: 78.

[41]– – المصدر نفسه ص: 58.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com